فن النحت العراقي المعاصر وفلسفته بين المثالية ـ الجمالية ـ الحرية

أ.م.د. قاسم حسين علي الغريري
كلية الفنون الجميلة ـــ جامعة بغداد

ملخص البحث //

اشتملت الدراسة على اربعة فصول هي :

الفصل الاول : اشتمل على اهمية البحث والحاجة اليه، وهدف البحث المتضمن دراسة المثالية- الجمالية – الحرية – ضمن فن النحت العراقي المعاصر. اما حدود البحث فقد اقتصر على دراسة شاملة للنحت العراقي مع تضمينات بعض الصور لفن النحت الاوربي.

الفصل الثاني : اشتمل على ثلاثة مباحث هي :

١-المبحث الاول : مثالية فن النحت

٢- المبحث الثاني : جمالية فن النحت

٣- المبحث الثالث : حرية فن النحت

الفصل الثالث : اشتمل على :

١-إجراءات البحث ومجتمع البحث وعينة البحث وصور لفنانين المار ذكرهم في هذا الفصل وتم الاختيار بطريقة عشوائية..

٢-تضمنت اجراءات البحث فن النحت – فلسفة تفاؤلية-.

الفصل الرابع : اشتمل على :

١-نتائج البحث

٢-استنتاجات البحث

٣-الصور ذات العلاقة بالبحث.

المقدمة

في صميم تساؤلنا عن المثالية- الجمالية- الحرية- وايديولوجيتهما ضمن التصور الذهني ووفق المفهوم العقلاني والبحث المعرفي فيما يقابله في العالم الخارجي، واتصاله بالماضي، وبما نحيا فيه من حاضرنا، وتبصرنا بمسؤوليتنا ازاء الانسانية، وكيف يكون هذا التبصر وما هو الدور الذي ينبغي على فن النحت العراقي المعاصر ان يقوم به الان. كسبيل إلى اعادة بناء حياة الانسان الداخلية، والى لم شتات قيمة الممزقة والواقعة في دوامة الاهتمام بالخارج وحده . ثم إلى دفعه بقوة الوعي إلى مقاومة كل ما يشوه حقيقة او يعبث بمثاليته وجماليته وحريته . لقد بنى الانسان حضارته المادية الشامخة كشموخ ناطحة السحاب ، واقام المؤسسات الفنية والحضارية وخطط قواعدها وقوانينها وانظمتها. فكان عليه ان يواجه صفقاتها. اذ تحاول هذه الحضارة استعباده واخراس صوته. ففن النحت ضمن فلسفته التفاؤلية ومثالية الواقع ، وجمالية العلم ، وحرية الانسان هو الذي يرصد تناقضات وتوازن هذا الواقع ويجسدها، وهو الذي يثبت ما في الانسان من اصالة ، ويكشف ما في الواقع من قبح وزيف . لان اعظم الحضارات الانسانية تظل ناقصة ما لم تعطي للانسان فرصته الكبرى لفهم عناصر حقيقته وحريته بجمالها ومثاليتها بواقع أيديولوجيتهما التي تقع تحت هذا الانسان . فمادة النحت وتكوينه هو الرؤية الانسانية الاشمل من كل الاستنتاجات والحسابات العقلية والمعرفية حتى تتحقق تلك الرؤية والتي كانت الاسبق دائما بالنسبة لكافة الاختراعات العلمية التي عرفها الانسان، والتي تقف مع كل تقدم او تطور على ان لايكون تحقيقه على حساب انسانية الانسان ذاتها، ولقد اتجهت الفنون جميعها في وقتنا الحاضر إلى الخروج من اشكالها الثابتة القديمة . منذ ان اكتشف انسان العصر الحديث انه يصنع النظام ثم يفقد بواسطة هذا النظام ذاته وحريته ويصبح عبدا له كان عليه وان يظل في حالة بحث دائم عن قواعد وقوانين وانظمة جديدة يكمل فيها حياته . وكذلك على الفن هو الاخر ان ينشد الصيغ الاكمل للتعبير عن معاناة الانسان من خلال المثالية- الجمالية- الحرية وتحولاته بين شتى المتغيرات التي تحيط به من الخارج والتي تنبع من داخله في الوقت نفسه، من خلال ذلك يقدم فن النحت حدسه ونبوءته متجددا إلى ما لانهاية. متحررا من اسر القاعدة والقوانين والانظمة الجاهزة او الصيغة الثابتة النهائية . ففن النحت

العراقي المعاصر مثله مثل الانسان، ومثل المثالية التي يتعلمها الانسان ثم يدق عنقها لكي يكتشف من داخلها الجمالية بثوبها الجديد، وكذلك حريته الفنية وايديولوجية اللحظة الحية التي يعيشها، وليس فكرة تحطيم القواعد والقوانين والانظمة والبحث عن سواها.

الفصل الاول

مشكلة البحث والحاجة اليه

في جميع مشاكل الفكر والذي يتأثر بالبحث بصبغة المشكلة؟ اليس من حيث تركيبها اللفظي واللغوي طبعاً، بل من حيث تركيبها الفكري والمنطقي وما يلازمهما من مفاهيم مستعملة؟ مثل المثالية ما هي: والجمالية كيف تكون؟ والحركة كيفية التصرف ؟ وانطلاقاً من درجة نضوج تلك المفاهيم ومقدار احاطتها بجوانب المشكلة، وكذلك بالاتجاه الفكري المثالي والجمالي من زمن سقراط وافلاطون وارسطو زعماء هذا المذهب المثالي، والجمالي، والحر، والتي تجدر الاشارة الى ان الصبغة في أي مشكلة فلسفية هي حلقة الوصل بين الحاضر والماضي في تاريخ الفكر المتجدد وهي ايضاً بذرة المستقبل لسبب عينه، فالمشاكل التي اثارها وعالجها افلاطون واخرون مثل المثالية، والجمالية، والحر، والتي كانتا تتصل بالحياة وبالتاريخ والاختبارات التي مر بها الانسان في حياته، وابراز علاقاتهما، البعض الاخر وكذلك بالشخصية الانسانية لانها خصائص تملكها النفوس دون سواها، ولكنها لم تدرس على الشاكلة التي تم البحث عنها في هذا البحث الموسوم (فن النحت العراقي المعاصر وفلسفته بين المثالية – والجمالية – والحرية)، حيث تم الربط بين عناصرها لكونها تصب في مجرى واحد ومتلازم في فضائل بارزة والمتمثلة بالشجاعة والعدالة وحب الوطن وصدق الذات والتي لا تتعدى حدود الحياة الاجتماعية والتأمل في معاني الاشياء المستترة.

اهمية البحث

يعد فن النحت العراقي المعاصر ومن خلال خط تاريخي يتحرك في ثلاثة انماط تتطور بصورة طردية وهي المثالية- الجمالية- الحرية وصورها بالشكل والمضمون المرتبط بالوعي الحاد الذي لا يفرق في الفلسفة التفاؤلية، ولا يتخبط الباحث في متاهات ثرثارية حول تعوقه في الدراسة لمثل هكذا مواضيع وقرر من خلالها الانطلاق بالمنطق الواعي إلى التجانس مع العالم الغربي والذي تضخمه وسائل الاعلام ومراكز الهيمنة الثقافية في الغرب، والذي يرمي إلى التوحد بالنموذج الحضاري الغربي والقياس عليه في كل شيء فهو كفيل بأن يؤدي إلى بشرية متحجرة ما دامت قد فقدت النوع والقدرة على الخصوبة فحين يميز ذلك النموذج بعض منهاج المعرفة على حساب غيرها، ويغلب بعض القيم المثالية والجمالية والحرية وايديولوجيتها دون سواهما. او يشجع بعض الطرق في الاحساس والشعور، ويتجاهل ما عداهما فأنما يؤدي إلى تقليص جوانب بأكملها من الابداع وبسلب بعض المجتمعات معالم صورتها الخاصة، ولعل هذا الاتجاه المدمر نحو قولبة الثقافة والفنون ، وهذا ما كان داعياً للباحث في انبعاث موجه له مقابلة تطالب بتحقيق الذاتية الثقافية والفنية وخاصة في دراسة المثالية والجمالية والحرية في النحت العراقي المعاصر التي ملكت روح الفنان العراقي كتراثاً مبنيا فنيا في فرض دراستهما الفنية وعلى تاريخ الفن نفسه لعدم دراستهما سابقاً. مما استوجب دراستهما والبحث فيهما مع ملازمتهما الواحدة للاخرى. اضافة إلى فن النحت العراقي المعاصر.

اهداف البحث

ان المثالية – الجمالية – الحرية هما الهدف الاساسي الذي وجد للحياة من اجل الرقي بالعملية الانسانية، وهذا هو دون شك الهدف الجليل والدائم الواقع ضمن طابع الزمن اللاعقلاني والذي وجب استدعاء التذكير بهذا الهدف باستمرار هو:

١- الغرض من الدراسة لهذه الاهداف هو السعي الى تأكيد مقدار السيطرة العامة والخاصة على نوعية الفكر والشعور في المجتمع.

٢- الغرض من الدراسة هو السعي على التغير المفاجيء بالمجتمع، وهذا ما يجعلنا ان نحترم وظيفة كلا من (المثالية – الجمالية – الحرية) الواقعة ضمن المجالات

العلمية والعملية والتقنية والخروج في النظريات السيئة التي تشوه هذه الاهداف والدخول الى نظريات اكثر تقدماً.

٣- الغرض من الدراسة هو السعي الى نشر الافكار والوعي وكسر طوق اللامبالاة في المجتمع من خلال التعبير عن الافكار المثالية - والجمالية - والحرية والاراء بحرية تامة تتضمن الشفافية والتي لا تتطلب المغامرة الانسانية، ولكن تتطلب الى خبرة ودراية علمية في هذا الزمن العالي سواء كان معاصراً او حديثاً.

حدود البحث

لقد اصبح من المتعارف عليه في مجال الدراسات الابداعية والفنية من انتاج الفنان لانها هي حلقة وصل بين القديم وبين الجديد. ثم الاضافة عليها ضمن عامل تجميع واعادة تركيب للقيم الفنية والتي تم تحديدها بالبحث هي المثالية، الجمالية، الحرية. وموقعهما ضمن فن النحت العراقي المعاصر- وايديولوجيتهما في تجارب الفنان العراقي.

المصطلحات

المثالية / مذهب فلسفي ينكر حقيقة ذاتية الاشياء المتميزة من(أنا) ولا يقبل منها الا الفكر. (ص٧٤٧)[١]

المثالية: ــ لها معنيان في اللفظ والفلسفة وتقسم الى قسمين هما :-

أ- معنى عرفي : وتعني به ذلك المبدأ الذي يسير عليه الكثير من الناس وبعض من دعاة الاخلاق مقررين بان هناك مثلاً عليا هي عبارة عن فكر سامي يجرده العقل ليكون هدفاً يسعى نحوه الانسان حتى يقترب من الكمال.

ب-معنى فلسفي : ان المثالية هي التي تعتبر احدى العناصر الفلسفية التي تحاول تعليل وجود العالم وطبيعته وعلاقته بالفرد ، فهي تقدر بان الظاهر من هذه الطبيعة هو شيء غير حقيقتها.

الجمالية //علم الجمال ــ الاحسان والمعروف (١٠٢)[٢]

الجمالية : ــ هي العامل البيولوجي الذي يأخذ بمبدأ التفسير للجمال من خلال الجهاز الإدراكي كله عند الانسان وتعلو به درجات هذا الجمال عند اصحاب الفكر العلمي او الخلق الفني او ماشاء في مجالات النشاط العقلي، وان تتضامن هذه الجماعة في كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية، وتقسم الى قسمين في الريا هي:

١- كل ما يقوم به الفنان او الكاتب او المفكر من عمل او كتاباً او فلسفة بسيطة فيها فكرة معينة نجد لها صدى انياً وجامعاً.

٢- ان كل ما يقوم به الفنان او الكاتب او المفكر وما يتلقاه من الناس في كسر الصمت ويصبح محوراً للمفاخرة والمناقشة لغرض الرد والتعديل او الرفض والطبول ضمن حلقات المناقشة او المحوارة مع سائر المجتمعات.

الحرية / القوم ــ أشرفهم ويقال هو من حرية قومه أي من أشرفهم (ص٦٢٤)[٣]

الحرية ولها معاني عديدة وكثيرة ولكننا نأخذ اهمها والتي تخدم البحث هي :

١- ان الحرية التي تتمثل بالعبودية التامة للاخلاق والفضيلة.

٢- الحرية هي السعادة التي تعمل على اشباع نوازع الانسان الخلاقة عن طريق الاخلاق والعمل ووقت الفراغ، لانها التعبير التام عن الافكار والشخصية والقيان بتصرف بحكمة وكي يصبح عضواً قيماً وفاعلاً في المجتمع.

ايديولوجي / فن البحث في التصورات والافكار ــ مذهب يعتبر الافكار المتخذة بذاتها: يقطع النظر عن كل ما هو وراء الطبيعة (ص٢٢)[٤]

إجراءات البحث

والتي تتضمن مجتمع البحث وعينة البحث واداة البحث والذي يعد متداخلاً ضمنياً مع الفصل الثالث وما به من تناص واحد وما تم من اقتباس بعض الصور للفنانين العراقيين والاجانب بطريقة عشوائية تنطبق عليهما المثالية - والجمالية - والحرية ضمنياً عند النظر الى الصور التي تتعدى الصور الذهنية شرحاً وتفسيراً من خلال الدلالة والاثارة التي تؤكد على المثالية - الجمالية - الحرية، وهذه هي من حتميات وحيثيات البحث.

الاطار النظري

الفصل الثاني

المبحث الاول / مثالية فن النحت

لاخلاف في ان المثالية في فن النحت هي واحدة من المؤشرات الواضحة على رقي هذا الفن وتطوره وفهمه وتقيمه للعلوم ودوره في رسم الثقافة الفنية الواضحة والصحيحة، وبالتالي يمكننا ان نستدل على حال احد الطرفين وما بهما من معرفة حال الطرف الاخر.

فالمثالية هي (قوة فطرية عقلية عامة ، وهي موروثة او على الاقل فطرية لا تكتسب بالتعلم او المران ، وهي عقلية لا وجدانية ولا خلقية ولا يؤثر فيها الاجتهاد او الحماس ، وهي عامة لا خاصة. أي انها ليست محدودة بأي عمل من نوع معين. بل تدخل في كل اعمالنا واقوالنا وتفكيرنا)[٥] وتدخل ضمن واقع المجتمعات وحاجاتها الاساسية التي تدخل ضمن مطاليب المجتمع وكذلك في خلق ثقافة معينة لفن النحت والمثالية من جهة ولعبت المثالية مع ارتباطها بفن النحت من جهة اخرى . لان مسألة فن النحت والذي يقع بين المثالية والحرية فهو تربية اخلاقية مثالية – مقصورة على التحدث إلى المجتمع ، وهذا التحدث يأتي عن طريق الاخلاق والفضائل ، او على استظهار قواعد السلوك الانساني فهو مثالي. عندما اصبح هذا الفن هو فن الحياة الحقيقية الذي ينقلنا إلى خلق عالم اخر وجديد يسجل لنا ما به من جمالية وحرية وايدلوجية بمثالية وخيال، وهذا مبدأ الانسان الاخلاقي وفضائله وليس اختراعا سواء كان سلباً او ايجاباً، وكذلك تمردا على القييم المادي او الاخلاقي وهذا ما جعل الفنانين يتمسكوا بالجمال ومثاليتهم وبالخلق الفني الذي يمثل قيمة مادية بقدر ما هي شعورية، وتقول هل جاء الفن من اجل الفن ام جاء الفن من اجل المال.

ففن النحت ومثاليته مع مرادفتها الجمالية والحرية ضمن ايديولوجيتهما، واذا ما وصفناه فوق منصة بعيدة كل البعد عن حقائق الوجود فسرعان ما يفقدا-قيمتهما. ما لم يكونا متلازمان بعضهما البعض، ومنذ ولادة الفن مهما كان نوعه وجنسه. فالمثالية هنا ومهما (أتخذت من اشكالاً متعددة الا انها تتفق جميعها على ان العقل أي الروح هو جوهر هذا العالم، وان فن النحت عملية تربية العقل الانساني والسمو بروحه لافضل بكثير من تربية جسمه أي مادته، وهذا ما يدلل على ان للعقل جسم فهو محور الفلسفة المثالية)[٦]. فالكلام عن فن النحت والمثالية وعن الاخلاق والفضائل ليست منفصلة عن بعضها. بل نجدها مترابطة ومتصلة اتم الاتصال وبروح رسائلية متزاوجة ومتداخلة، والكل يؤثر في الاخر شكلاً ومضموناً. فهما في الواقع يعتبران شطران متلازمان لعملية واحدة تكمن في التربية العقلية والموضوعية كالجمالية والحرية قائمتا الجدل لا ينفكان عنهما لانهما تعبيراً عن ابرز حاجات الانسانية الخلقية والاخلاق والعملية التي تتمتع بالديناميكية مستمرة الدوران لعملية الحياة في :-

اولاً / الجمالية : هي ايديولوجية المثل، والمثل هي الاخلاق اضافتا إلى ذلك انها فضيلة، وهذه الفضيلة مرتبطة بالاعمال وحاجات الانسانية عموماً.

ثانياً / الحرية : هي العبودية التامة للاخلاق والفضيلة فهي المثالية الجمالية المرتبطة بالاعمال الانسانية كافة والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالايديولوجية بكونها عمل صغير بقلب كبير هي خير من عمل كبير بقلب صغير. فالمثالية في فن النحت هي اصالة على كسب قدرات الاخرين والتاثير في مشاعرهم وعواطفهم من خلال بعض الاتجاهات العلمية التي تؤكد على انها (مجموعة من عادات التفكير والشعور والعمل بما فيها الاتجاهات العقلية والاولاع والمستحبات والمكروهات واللياقات والقابليات)[٧]. لان الاخلاق بمثاليتها في فن النحت تعد مظهر من مظاهر هداية العقل السليم والارادة السديدة، والتي تؤثر تأثيراً قويا في معلومات الانسان الفكرية والمعرفية وخبراته في خلقه وسلوكه الفنية والاجتماعية ولا ينكرها احد، وهذه هي احد ركائن الجمالية والحرية في فن النحت، وان كان ذلك الاثر محدوداً بنزعاته الفطرية وما فيها من حسن النية وعواطف شجية وتأثيراً قوياً في حالة الجسم واستحالته في العقل واضحة وجلية عند استخدامها في فن النحت. لان الربط بينهما كوثيقة

وورقة ناصعة البياض، ولا تزال لانها تنطلق من سلامة الجسم في النحت هي الاخرى تكون تربية اخلاقية وفضيلة عقلية ومعرفية في الوقت نفسه، وهذا ما نعلمه بما يلم العقل فيه من فتور وضعف، وما يعتري الخلق من الترهل والشذوذ او الارادة في الضعف اذا ما اهمل الجسم طويلاً. ففن النحت بهذه الروح الواعية، والفهم المضيء، يمكن لكلمة المثالية ان تكون ذات فعالية في تطوير العمل الفني،وفي جعل فن النحت على جانب من الاهمية. لا يقل عن مثالية الخلق والابداع قائماً على العلاقات الشخصية.فالشخصية(نظام متكامل من سمات مختلفة تميز الفرد عن غيره من ناحية التوافق الاجتماعي)[٨] التي نجدها مرتبطة بعضها بالبعض الاخر ولا يمكن الفصل بينهما. فليس للانسان الذي نقدم له العون في البحث عن فن النحت بمثاليته والذي يقع بين الجمالية والحرية مقسوماً إلى:-

أ- عقل وجسم.

ب- خلق وذوق.

لا بل نجده كائنا حياً ووحدة قائمة بذاتها. فالعالم الحقيقي جمالاً وحريتاً، والعالم المجهول بأساً وانحطاطاً وكدراً، وجعلوا من فن النحت لعبة رائعة، وقلة نادرة. جمالية خاصة وحرية مفرطة لا يملكا شيء، وتعابير غامضة.ثم بعد ذلك تم اضعاف اثر مثالية وما يقدمه الفنان ويعبر عنه بواسطة الجمالية، وهذه محاولة فهم بما يكنه الفنان ويعبر عنه بحرية من خلال بيئته ومجتمعه وجنسيته وعصره وما يمتلكه من موهبة خاصة تتجاوب مع كل المؤثرات بصورة متنوعة وان جاز لنا القول، ولا يمكن التنبؤ بها، ولاقامة الصلة العاجلة بين فن النحت والظروف الاجتماعية التي ترتكز على المثالية والجمالية والحرية. والايديولوجية، وهذا هو الايجاز الذي يعني بالبحث التفصيلي عن الحقيقة. (لان شكل العالم الذي يولد فيه الانسان يولد معه منذ البداية كصورة جوهرية قابلة للتحقيق)[٩] . فالمثالية هي التي استطاعت ان تضم ضرب من ضروب المعارف الانسانية في استعمال منهجي منظم يؤدي إلى بصيرة نافذة في فن النحت وفق ضوء ثقافة معاصرة وممارسة علمية وعملية فعالة وصادقة .

ينظر الملحق رقم (١) .

ففن النحت في علمه ومعرفته مثال ، وجمال ، وحر ، وأيديولوجي في جذره وصور ذهنية متفتحة ومنقحة وناضجة للعقل الانساني ليعبر عن انبل واعظم رسيس ونسغ مورق بالمأثر المادية والمثالية الذاتية. والموضوعية الجمالية وله صورتان تعبيريتان عن حريته هما:-

١- صورة مثالية : يؤكد العلم فيها على كشف الحقيقة وتأملها وتأويلها وكيفية بناء الصورة الذهنية في الصورة العقلية للعلم الجمالي وتصويرها بما يتلائم وايديولوجية الوقائع الخيرة للانسانية فيها.

٢- صورة الواقعية : ان لهذه الصورة والتي تؤكد على جمالية وحرية المنفعة الشخصية العامة والخاصة بأخلاقها وفضائلها والتي بواسطتها ستبقى الحقيقة الحقة لانها تعتبر هي الوسيلة النافعة للعمل وغايته (ولا تختبر صمتها الا بمقتضى ذلك الفعل المتميز)[١٠]. ومن هذا المنطلق بما فيه من روح مثالية جياشة، وما قد يستثيره من انفعالات سامية وعواطف طيبة في تحليل فن النحت الواقع بين المثالية والجمالية والحرية وعن حوادثهما ومغزاهما وما يفقدهما روعتهما وقيمتهما الفنية الاجتماعية ، ومن الملاحظ ان الاعتناء بدراسة فن النحت ضمن الجمالية والحرية والتي كانتا مهملتين كل الاهمال . ولم تبدأ العناية بهما الا في وقت قريب ، وهذا يرجع إلى اسباب وظروف كثيرة ، ومن ينظر إلى المخطط الحالي قد يأخذ منه الحقائق والاعتناء بهذا الفن في ناحيته الجمالية والحرية والتي صارتا من الفنون التي تعمل على ترقية الانسانية ترقية شاملة وكاملة لكافة نواحي الحياة البشرية ، واصبحت تضع جل اهتمامها في ترقية عقلية الانسان وإيقاظ مواهبه وإظهار استعداداته وميوله الفطرية، والعارضة، والصناعية، والتي تعنى بوجدانيته وعواطفه وتكوين ذوقه وحسه وتمتين ارادته وتوجيه سلوكه وفك مشكلته التي هي متصلة بالفلسفة الاجتماعية والاخلاقية. لان الانسان هو محورها وجوهرها ومثلها العليا. لان فن النحت مثالي وجمالي وحر لانهما الاساس في تربية

الاخلاق وفضائلها الوجدانية والنفسية والجسدية وتعطي قيمة روحية واثر لصفات هذه الروح وهذه الحياة، والتي يتم بموجبها توجيه الانسان للعيش في ميادينها الدينية والدنيوية وتربيته حد بحد.

المبحث الثاني /جمالية فن النحت

ان من مرتكزات الثقافة العصرية الجمالية المدنية والحضارية وكيفية التعامل معها نقداً واعياً قد يختلف النقاد والفلاسفة والعلماء والفنانين في استعمال ادوات النقد والتقويم للجمالية في فن النحت ومقارنتها بالمثالية وبالحرية بأختلاف مناهجهم وسبل تفكيرهم ومرتكزات فلسفتهم . ففن النحت ليس مجرد ابداع او انشاء او تعبير جميل، وانما النحت فكر وفلسفة ومذاهب اجتماعي وسياسي وديني وثقافي وفني، وهذا معناه ان الفنان لايمكن ان يكون فنانا الا اذا كان مثقفا، ولا يمكن ان يكون مثقفا الا اذا اطلع على اهم منجزات العصر. سواء في العلوم او في الانسانيات . فالفنان عندما يستخدم الجمالية في عمله الفني وخاصة في فن النحت التي تعد ما هي الا (التسامي الذي ينشده في محاولة ربط الانسان في سموه بالنظام الكوني الذي يعتبر الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة جزء من الجمالية وهي اقوى من قوى الانسان، ولابد ان يكون على وفاق معه)[11] . لان الفلسفة الجمالية لها ادواتها ووسائلها التي لا يمكن الاستغناء عنها في العملية الفنية والاحساس بها وخاصة بفن النحت وتفرعاته وذلك بفضل تدخلها في ميادين الحياة كافة لكون هذا التداخل كان تداخلاً واعياً وفاعلاً وكاشفاً عن شبكة العوامل والقيم الجمالية. للجمالية الخفية وهذه واحدة من فضائل فلسفة علم الجمال الذي نوه عنه المفكرين والفلاسفة العرب والاوربيون على حد سواء. منطلقين من بواطن المجتمعات والحياة من حيث الاتصال بالقيم والمفاهيم المعرفية والمعايير والاحكام التي تؤمن السلوك الاجتماعي في بناء الانسان الفاعل المبدع الكاشف عن مكنوناته المادية والمثالية الفكرية وتبحث عن الجديد لتؤشر ملامح الجمالية وطرق دلالاتها المتراكمة عبر سياق تأريخها الطويل وبجميع مسمياتها ومراحلها والعوامل الفاعلة فيها ، والتي ظهرت في فن النحت كالبوتقة التي انصهرت فيها معادن كثيرة ، وتبلورت فيها افكار عديدة ، وكان اكتشاف الفنان في هذه القوة ، كأكتشاف قارة بأكملها ، فالجمالية هي نتاج ظروف مجتمعة وملابسات العصر، لانها تعتبر من اهم اسس بناء فن النحت الذي يرتكز في العقل ، وكذلك في الحواس، اذا لم نتمكن من استخدامها في العمل(لا يمكننا ان نحقق الظروف العضوية للحياة الانسانية فما بالنا والامر الادهى عندما ننظر إلى تقدم الانسان)[12] وخاضعاً لتميز العقل الظاهر او الواعي (لتحقيق مبدأ الحياة للحياة وجعل الجمالية كمختبر عملي)[13]. ففن النحت والجمال هما ملكتان لدى الانسان. فالفن ملكة يقتدر بها على اظهار العواطف والشعور في مظهره الخارجي . اما الجمال فهو الاخر ملكة الشعور والاحساس وصفة قابلة لدى الانسان العادي تكون قوة فاعلة، واذا زادت هذه القوة طردياً فأنها تحمل معها الفعل ورد الفعل هو مثل والمثل في الجمالية ترمز إلى الايديولوجية لكونها عملية تكوين نسق فكري عام اخلاقياً يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد وينطبق عليه بصفة دائمة، وصداها العمل الذي يرمز له بالفضيلة. لان الانسان عندما يخرج من بطن امه جاهلاً لا يعلم شيئاً، ولكنه زود بأداة المعرفة الحسية وهي السمع والبصر، واداة المعرفة العقلية ايضاً، وهي العقل والفطرة التي يعبر عنها بالافئدة . فالفنان(النحات) يستطيع اعطاء القيمة للفضيلة بواسطة الاحجار او الالوان واللغة والصوت ، وان يشرح او يسرد للمتلقي بما لا نراه نحن من خلال هذا الشرح او السرد وتفسير للمثل العليا من اجل الارتقاء في نفوسنا ويزكيها ويهيج فينا اسمى العواطف ويستخرج منها الافعال والاعمال، وكذلك تفجير طاقة هذا الفن الذي يخاطب فيه العقل مباشرةً كما يخاطب القلب ايضاً بواسطة ذلك العقل الجميل وما به من الاحساس والعمل الخير الذي يخاطب اعماق النفس الباطنية بكل قوة . فالجمالية في فن النحت هي التي تجعل للعيش طعماً وللحياة قيمة ومعنى. فالانسان لا يستطيع العيش في هذا العالم الا اذا كان مستلهماً قوانين المنطق الجمالي والفكر النير في كل اعماله (الفضيلة) ، وهذا ما يتطلب من كل فرد في

المجتمع ان يضبط كل انفعالاته في سلوكه مع الناس، وهذا ما نطلقه على التربية الجمالية وتثير فينا حاسة الجمال وتكوين العاطفة عندنا وفينا وتجمل في نفوسنا التذوق الجامح لكل ما هو جميل ورائع وتستسيغ له الاستمتاع البريء والصحيح وهذا هو الذي يسمو في حياتنا وتفكيرنا . فالفنان الجيد هو الذي يستطيع غرس الاحساس بالجمالية بالكيان الشكلي، وبالتسامي، لانه العامل الاساسي للطبيعة الاخلاقية ومثلها وحريتها والتي تقع ضمن صيغ النظر في فن النحت وجماليته وببساطته وبدون تميع وهذا ما وجدناه عند الفيلسوف افلاطون في كتابه(القوانين) . بشكل لاتقل شأناً عند تناولها في كتاب الجمهورية (انها بسيطة. انها واضحة. ولكن الشيء الوحيد الغامض فيها. لماذا اهملها العالم هذه المدة الطويلة)[١٤]. لان حركة الجمال والمثالية ما هما الا صدى للفلسفة الافلاطونية، او هما المظهر الفعال للنظرية المثل بالذات حيث يقول افلاطون بعالمين (العالم المحسوس) والذي يتألف من الاجسام او الماديات (والعالم المعقول) الذي يتكون من الموجودات المجردة التي هي (مثل) الاجسام، والمثال مفرد مثل هو الموجود بذاته. فاذا تحدثنا عنه قلنا (المدينة بالذات أي مثل المدينة) (والفضيلة بالذات) كما ان الاجسام مترتبة بعضها فوق بعض في انواع واجناس، فكذلك المثل حتى تنتهي إلى وحدة يدعوها افلاطون تارة بمثال الجمال ليدل على ان غايتنا القصوى ليس في الجمالات الناقصة الزائلة. بل في الجمال بالذات الكامل الدائم، وتارة اخرى بمثال الخير او الحقيقة العليا التي اشتقت منها كل المثل الاخرى التي اكتشفها الانسان.

ينظر الملحق رقم (٢) .

لان في اعماق العقل كفاحاً عنيفاً مستعراً بين مناطق العقل المختلفة ولكننا لانراها على تلك الحال. بل نرى النتائج النهائية فقط ، وان الكثير من جهودنا واهتمامنا وانفعالاتنا وكفاحنا مع انفسنا، ليس في جوهره الا محاولات نبذلها في الحياة لتسكين ذلك التضامن اللاشعوري)[١٥] منذ الخلق الذي يعتبر هو كيان فني مستقل في كل الاتجاهات الفلسفية المتنامية مبشراً بولادة شكل جديد واصيل لفنوننا من خلال عيون الاخرين وهنا تجدر الاشارة اليه في تقسيم العقل الانساني إلى قسمين هما :-

أ-العقل الباطني او الذاتي.

ب-العقل الظاهري او الموضوعي.

ولذا يجب التفريق بينهما. لان العقل الظاهري يتصل بالجانب الفكري من العقل وتؤكد فيه بانه هو الجانب الذي يتوقف نشاطه على الوعي ، وحتى اذا فقد الوعي اذا ما تعطلت قواه جميعاً . اما العقل الباطني فهو مستقل عن الوعي، وهو ابداً يعمل سواء أكان الانسان نائماً او يقظاً، او كان في منزله بين النوم واليقظة . لانه كامن في مركز الحدس والوحي وهو شديد الارتباط بالغرائز والانفعالات. فالجمالية هي التي ترمي إلى تكوين الذوق الفني والذوق السليم في نفوس المتلقين . لانها لا تتطلب من هذا المتلقي الابتكار او العمل او الانتاج في أي ميدان من ميادين الفنون الجميلة المتنوعة، بل ترمي إلى تدريب العقول على الادراك، والاتساق والتناسب، والجمال او أي شيء اخر كالترتيب والنظام في كل شيء يصادفه في الحياة سواء كانت حياة فردية او اجتماعية او كانت مادية او معنوية بسيطة او معقدة في الفن او في الاخلاق او في السلوك والاعمال. وهذا ليس خافياً على احد . لان الانسان الذي يعي ذاته وذات مجتمعه من خلال الصلة التي لاتزال جذورها ملتصقة بواقع هذا المجتمع وموروثه الفكري والحضاري بقدراته الخلاقة والقادرة على الادراك لواقعه الاجتماعي والثقافي والفني وتفسير هذا الواقع تفسيراً حقيقياً ويأخذ موقفاً متميزاً ومنطلقاً نحو المستقبل وتجاوز هذا الواقع نحو التعبير الجمالي الحتمي)[١٦] لتاريخ الفن وخاصة فن النحت لاي مجتمع من المجتمعات فالجمالية في الفن التشكيلي وخاصة فن النحت هي فنية وذات قيمة ذاتية ولها الاثر الكبير في الحياة اليومية وفي سلوكية الفرد وميوله، وكذلك في حياة المجتمع ونظامه فهي تسمو بالمرء من مستوى الماديات إلى معان سامية لا تقل في حقيقتها وفائدتها عن الحقائق المادية الملموسة. لانها احدى حوافز الرقي والاستقرار

الاجتماعي والفني لكونها وسيلة من وسائل توثيق عري الترابط بين الافراد لما يستلزمه من استثارة عواطف وانفعالات معينة فيهم كما توحد بذلك وجدانياتهم وتزداد المشاركة بالمثل الوجدانية فيهم وتقوي تلك المشاركة بالعملية المتأصلة بالفضيلة التي تقاس على تقوية الشعور بالانسانية كما تعين على جعل الفرد ملائماً اخلاقياً لبيئته وشاعراً بما فيها من المثل والجمال الذي تم التوصل اليها عن طريق ادراك الحقائق للفكر الانساني المتسلط على الظاهرات العقلية والتاريخية والباطنية المختزنة. بالرغم من الاختلافات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات البشرية وما يتعلق بقيمها وافعالها للكشف عن شكلها ومضمونها وحقائقها المتقاربة مع حقائق الحرية التي نتخذ منها موقفاً قصرياً لفض مكنوناتها في النحت الذي اصبح ممتعاً للحياة.

المبحث الثالث / الحرية في فن النحت

ان الولوج في البحث عن طبيعة الحرية وتعريف كنهها وهذا امرا في غاية الصعوبة للرد عليه، ولو سألنا انفسنا عن سبب سرورنا بالحرية وما نراه من صور انتقام والتي نسمعها لوجدنا الاجابات متنوعة وكثيرة لكونها لا تعجبنا. ولا نرتاح لها، لانها غير متناسقة وغير متلائمة. او قد تثير فينا ذكريات قديمة، ووجدانيات معهودة نقرها. لان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان حراً منذ ولادته للحياة. فنراه عند الولادة اما فاتح اليدين ليطلب الرزق والرحمة، واما نجده قابض اليدين ليكون حريصاً على الدنيا وما فيها، فتخيلا، فمن العبث ان تسأل المتلقي عن معنى الحرية التي لا يدركها ولا يعرف الاجابة الصحيحة عنها. لانها شيء فطري كامن في الذهن، وان معانيها متعددة ولكونها ما هي إلا احساسات جاءت بالفطرة وتصوراتها التي تمتاز بالكلية والعموم ولا تخص فرداً بالذات، ولكنه يستطيع تفسيرها وتعريفها بالألفاظ العامة فقط ولكنها جديرة بالتحليل وبالتركيب للفكر المنطقي وكذلك خاضعة للقوانين المنطقية ولا تزال إلى يومنا هذا. فالحرية في فن النحت عندما تكون وحدها. فأنها سوف تكون بلا معنى اذا لم تتذرع بالضمانات الاجتماعية وذات النبرة العلمية في الوطنية، وعما تكنه من قواعد وقوانين وانظمة لتكون الوسيلة في النحت وغاية قصدية الفنان من وراء طبيعة العلاقة بين شكل النحت ومضمونه، والقصد من ذلك، لان فن النحت كالزهرة الجميلة تنمو فلا تسأل كيف نمت، ولا ما سر جمالها ومثاليتها وحريتها، وهل هي نافعة او غير نافعة. الاعلى مبدأ الالتزام بقضايا المجتمع والانسان، (وتمثل تأريخ الانسانية وصلة بدائية مبكرة فأنها تمثل في حياة الفرد المبدع مرحلة ناضجة متأخرة)[١٧]. فهذه هي فردية الجانب ولا تعرف بالجماعية ولا نعرف عنها الكثير ما عدا الالفاظ منها. كالمثالية، والجمالية، والايديولوجية لانها شمولية وذات معنى ورابط واحد. اذا ما تم زج فن النحت العراقي المعاصر ونجعله ككل الفن العظيم واقعي بمعنى انه يعلمنا اكثر عن الدنيا وعن الطبيعة البشرية وعن الاوضاع الخارجية للواقع الاجتماعي والواقع الباطني لانفسنا وموقفنا من الحرية في هذا الفن (لانها ترتكز على اسس بنائية في المجتمع لتشمل جميع جوانب الفكر المعاصر وتدرسها كأبنية متكاملة ذات قوانين علمية محددة لا كوحدات جزئية متناثرة)[١٨]. فالحرية مسألة هامة لا يستطيع العلماء والفلاسفة والمثقفين انكارها بأي حال من الاحوال بأغفالها وهذا تحليل فلسفي قائم بذاته، وهو الذي ينقلنا إلى الغول بالزمان والمكان وترضى به كافة المجتمعات الانسانية عموماً والعلم المفتوح خصوصاً وذات قول ثابت ولا صلة بين الزمان والمكان والا الاعمال ولاحواسها وهذه فوارق معبرة عما يعطيه العقل الانساني من عدة معاني للحرية والتي تقع ضمن تجارب الشعوب والمجتمعات، وهذا كلام لا يتحمله لفظ المنطق، ولكنه يتفق مع طبيعة الموضوع ويساعد على ارادة المعنى (لان البحث العلمي هو بحث نظري، أي بمعنى انه جهد مبذول للمعرفة والفهم الذي يحيط الظواهر الطبيعية على ان تشمل الطبيعة كُلاً من الانسان والعلم المحيط به)[١٩] . فالحرية بأعتبارها عملية معقدة ومثيرة وحافلة بالصراعات اذا ما استعملت في فن النحت. لان العقل الباطني للانسان يتلقى فكرات خارجية تترك فيه اثارها التي لا تزول الا اذا زحزحتها فكرات جديدة معاكسة لها. ولهذا نجد ان الحرية لدى الفنان تقع ضمن تعريفها

البسيط الذي يعد لها. فهي العبودية التامة للاخلاق والفضيلة فمنها تنفذ وتغدوا. فالانسان عندما يخرج منبطن امه جاهلاً لا يعلم شيئاً، ولكنه زوده بأداة (التركيز على قضايا التذوق الفني وطبيعته الفردية او الاجتماعية مما تتيح له الفرصة في دراسة علاقة الظواهر.كالمثالية، والجمالية،بالطابع الاجتماعي والثقافي والفني المتصلة بالحرية والايديولوجية)[٢٠]. ففيها النظام والاتساق ولها الاثر الكبير في قيمة الجمال والاتساق والاتزان لان جمالها يكمن ولا يتوقف عند فقيراً او غني. فالنظام وحسن التربية وحسن السلوك ورشاقة البشر كلها تستكين في قدرة كل انسان وهذا كما هو معروف كالأحاسيس التي تنطلق وتعتمد على اساس الغرائز والميول الصالحة والعادات والتقاليد التي تعمل على تكوين العواطف السامية والقوية الراسخة في الفرد والمتعلق دائما بحب الخير وبعمله، وبكل ما فيه لصالح الجماعة كقوة خلقية مثالية رصينة في النفس تسدد ارادته بأستمرار نحو عمل الفضيلة. بالخير ولينابيع العقلية المسيرة للحركات الانسانية. لان كل عمل صغير بقلب كبير هو خير من عمل كبير بقلب صغير . فالاخلاق بمثاليتها وجماليتها وحريتها هي التي تثبت مواجهتها دائما بفعل الخير وتفضل المصلحة العامة على الخاصة اذا ما اصطدمت معها. ومن خلال ذلك يتمكن الانسان من ان يعيش بين ظهراني المجتمع سعيداً نافعا من غير ان يضر احداً في حريته. وجمال نظامها، ونجده دائما متعاونا مع غيره ويقوم بنصيبه في ترجمة المجتمع والمحافظة على سعادته. لانه يضحي بشيء من حريته وماله ووقته ومنافعه الشخصية في سبيل خير الجماعة والوطن. اذن فالاخلاق هي اسس السعادة البشرية لانها تنهض على اشباع نوازع الانسان الخلاقة المتأتية عن طريق العمل الصالح الذي يصر على تغير الوضع الاجتماعي والثقافي والفني الذي يجعل البشرية سعداء .

ينظر الملحق رقم (٣)

ففن النحت الذي يقع بين المثالية والجمالية والحرية وأيديولوجيتهما ويفتح نوافذ الفكر والمعرفة بما ينبغي له في تحقيق عالم الفعل والتطبيق لإمكانياته الكامنة والتي تتحول إلى فاعليات متقيدة ومتحركة في عالم الواقع. لانه يتمتع بفضل مادته المادية والمثالية التامة لقادة الفكر ورواد العلم والثقافة بذاتية التي تمتاز بذاتية تربوية اخلاقية وفنية عالية الجودة. لانه غرس جميل الصفات كريم الصدق والاشارة كونه ينطلق من تحت يد انسان صادق النية متعاون يحب العمل ويحب النظام شجاع في الحق والاعتماد على النفس والاستمساك بالحق كما وانه في نفس الوقت الذي يؤكد فيه على التربية الاجتماعية بصفاتها المثالية والتي تنشطر إلى الجمالية والجمالية إلى الايديولوجية والايديولوجية إلى الاخلاق والفضيلة وهذا مما دعى الباحث بأن يضع فن النحت بين المثالية والجمالية والحرية. لكون الحرية هي الاخرى تكون عبداً للاخلاق والفضيلة باعتبارها افكاراً ديناميكية متغيرة حسب تغير ثقافات المجتمع ، وهذا هو المصدر الوحيد لكل حقائق المثالية والجمالية والحرية وفن النحت الذي يتجلى به الفكر على ارضية الوجود الاجتماعي الذي يتمتع بصلة المعرفة ومصادرها في الانسان الفرد . لان الفرد من هذا المجتمع لا يستطيع العيش منعزلا عن بني قومه او يتأثر سلوكه بسلوكهم ويؤثر هو في سلوكهم واخلاقهم وطرق معاملته وسعادته مرتبطة بسعادة الجماعة كلها.

الفصل الثالث

فن النحت فلسفة تفاؤلية

لنفكر معا في فن النحت العراقي المعاصر وموقعه بين المثالية والجمالية والحرية وما هو موضعه في العالم، في الحياة الاجتماعية ، وفي الفكر المثالي والجمالي والحر، وكذلك موضع فكر الحرية من الحياة انطلاقا من لا فكر خارج الحياة ، ولا فكر له وجود خارج الزمان والمكان. لان لا يوجد في التاريخ تفكير مجرد من القيم الانسانية . فالجمالية هي عنصر يمثل المثالية والمثالية عنصر انساني مهم في تذوق الانسانية، والحرية هي اصل من اصول كل المسائل النفسية والفكرية العاطفية والوجدانية الحضارية في الحياة العادية سواءاً كانت عامة او خاصة

على حد سواء وهذه ظاهرة الامر الواقع . لان فن النحت يقع بين عالمين عالم عالمي معلوم وعالم محلي مجهول ولكل منهما اصوله البيئية والاجتماعية مما يستدعي اثارة الاهتمام والاستجابة له سواءاً العالمي والمحلي بشكله ومضمونه لكون هذا الفن فناً عالميا قديماً وحديثاً ويتمتع بفلسفة تفاؤلية ويثير الغريزة النفسية للفرد وعلى نطاق الجنس البشري عموماً، ولغرض تشجيع الفنان على ممارسة مثل هذه الفلسفة المعتمدة على دراسة الفنون مباشرة بما فيها من (افكار وجدانية وظواهر طبيعية وبشرية بسيطة ومركبة انما يجب دراستها من خلال البيئة التصورية للصورة الذهنية والعقلية اضافة إلى ذلك المشاهدة الحسية)[٢١]. ولكننا اذا ما فحصنا موقعه الذي يحتم وجوبه المطلق لهذا الموقع بين المثالية والجمالية والحرية بفلسفتها التفاؤلية، وبنظرة دقيقة وفاحصة وشاملة لوجدنا فيه كثيراً من الصعوبات، وكذلك وجود مشكلات وارهاصات تهم اهل البلد بصورة خاصة ولا تهم الجنس البشري عامة . فالانسان ليس عبداً للجنس فقط، وانما هو عبداً لاكثر من لذة مثل الجنس، ولذة الحب، ولذة الصداقة، ولذة الجمال، ولذة المعرفة، ولذة السيطرة، ولذة القوة، ولذة الحرية، والسعادة. حيث ان جميع هذه اللذات في الحياة نراها منسجمة وفي نظرة رحبة واسعة الافق. وهذه اللذات هي انعكاس لعادات وتفكير الانسان الذي اصبح واضحا لدى الجميع ولا يختلف فيه اثنان. لكون فن النحت فنا يجمع فيه كل مصوغات الحياة البشرية الظاهرة منها والباطنية فيها بسهولة لشموله على مكونات ومنطلقات وخصائص انسانية يمكن بواسطتها معالجة جميع قضايا المجتمع عموما. فالحب ، والخوف ، والصدق ، والكذب ، وهذا ما نجده بمعناه الضيق . ففن النحت فن انساني خالص ولغته مفهومة للجميع اضافة إلى ذلك فهو يستكمل ابعاده الفلسفية التفاؤلية حالة واحدة . اذا ما تم تناولها من قبل النحات تناولاً عميقا ذات جدالاً يجمع فيه كل التصورات الذهنية الذوقية والعقلية ليثمر نتاجا محليا متميزاً وسط الاعمال العالمية هذا اولا ، واذا تناول هذا النحات واعطى لنفسه بالتجربة ابعادا اخرى ثانيا ، وللصورة الذهنية الفكرية والعقلية ثالثاً، ابعاداً اضافية لفلسفة تفاؤلية شاملة وجعل من هذه الفلسفة تجربة من التجارب الانسانية ، واعطى لها العالمية فهنا لا نجد الغرابة بين النحت المحلي والعالمي ما عدا فرق في الشمول وعمق بالمعالجة الفنية للموضوع من ناحية استخدام المادة او نوع طرح الموضوع او البيئة (والعودة إلى كلمة المشاهدة الحسية التي تتضمن معاني كثيرة لكونها تصدر عن استخدام الحواس كالنظر، واللمس، والذوق ، والشم ، والسمع ، المنطلقة من ركيزتها في الاساس هو العقل والضمير. لان كل نشاط انساني عملي وعلمي ومعرفي هو لابد وان ينطلق في الفضاء)[٢٢] ، وهذا ما نلاحظه بالفن او بالفكر او بالاخلاق او في غير ذلك وهذا من المستغرب ان نقول بأن التربية المثالية وبفلسفتها الشمولية هي التربية الروحية التي تكمن بالعقل وملكاته قبل كل شيء كوسيلة وغاية لخدمة العقل كي لا تتعطل القيم الروحية والذوقية لفن النحت، وهذا على العموم والواجب على الفنان ان يهتم بهذه المسألة بقدر ما يهتم بالمثالية وجمالية العمل من خلال حرية الابداع بصفة مقرة به ، وان عليه ان لا يتجاهل الامور الوطنية التي تدعوه الاستجابة لدواعي نفسية، وان يعيش المسؤولية التي تعرف بحامل الازميل والمطرقة وان يعيشها، وكذلك وجب عليه ان يفهم البيئة وما حوله، وان يفهم الانسانية عامة وما يقدمه لها، وان لايقصر بفهم الثقافتين العالمية والمحلية وان يترك بعد ذلك النوازع والدوافع الخفية التي تتحكم فيه وتدفعه،وهذا ما نجده من امكانية بارعة وحاذقة عند الفنان الاصيل. لكونه فناناً انسانياً بحت – جدلا يقتضيه.(لانه محور اللحظة التي تبنى على اساس النشاط الانساني الذي يقتصر به على اللحظة المكونة للقيمة الجمالية والتعبير به في مجال فن النحت)[٢٣] ، وان لا يهتم ببيئته او دراستها بعمق كما يجب لا بل يجب عليه ان يهتم بأدق التفاصيل الخاضعة لمشكلته الاجتماعية لكونه فنانا من الطراز الاول وانسانياً في الوقت ذاته، وعلى الرغم من عدم ذيوع صيته، وهذا سبب يعود إلى عدم ذيوعه يرجع إلى ان بعض مراكز الحضارة تمتاز بأمتيازات فنية خاصة لمحاكاة اجتماعية متفرقة منها الدينية والسياسية

والاقتصادية والثقافية، لان كل فنان اصيل يقوم على نقل البيئة وما بها حرفيا سواء كان هذا الفنان يعيش في قرية او مدينة ونجد لكل منها خواصه البيئية وشعوره بما فيها ومراكز قواه العقلية والوجدانية.

فالفنان صاحب المدينة وقريباً من مراكز الحضارة ويكون قريبا وعلى مساس من الانشطة الفنية . غير الفنان صاحب القرية وبعيدا من مراكز القوى الفنية وبعيداً عن مراكز الانشطة الحضارية. فالاول يعيش حالة اعتيادية ويحس بمشاكل البيئة والمجتمع ويكون الاهتمام به اكثر من غيره في المجتمع ، ويتطلع اليه والى تلك الحضارة التي ولد فيها ومن رحمها. بالرغم من الاختلافات الجنسية والشعوب . وهذا لا يقلقنا من ان فن النحت العراقي المعاصر القديم والحديث غير شائع في العالمين العربي والغربي ، وهذا لا يعني بأن صفة النحت العراقي صفة انسانية غير متكاملة وثمة نقطة هامة في هذا الصدد . هي اعتزازنا بهذا الفن الراقي البديع الذي انجب العبقرية العراقية ووثق سجلها بالانجاز الدقيق امثال جواد سليم، انظر الشكل (١) وخالد الرحال انظر الشكل (٢) ، ومحمد غني انظر الشكل (٣) ، واسماعيل فتاح الترك انظر الشكل (٤)، وصالح القرة غولي انظر الشكل (٥) ، وميران السعدي انظر الشكل (٦) ، وغيرهم من النحاتين الشباب . فاذا وجدنا مثل هذه الروح العبقرية العراقية الصادقة الفذة، فلابد من ان نفرض فننا على العالم . كما فرض علينا اعمال الفنانين الاوربيين مثل مايكل انجلو انظر الشكل (٧) ، اجيزاندرو انظر الشكل (٨) ، وكاربو انظر الشكل (٩) ، ورودان انظر الشكل (١٠) ، اضافة إلى ذلك فرض فنهم على العالم ايضا.

ففن النحت العراقي ضمن مثاليته وجماليته وحريته الذوقية الذي يلعب دورا كبيراً متميزاً وهاماً في تربية المجتمع لكونه الرابطة الاساسية في تكوين الحياة الاجتماعية- والثقافية والفنية لاستخدامه اسلوب وظيفي ومنهجي من قبل الفنان الذي يولد في خضم ورحم الحياة الاجتماعية في المجتمع . لان تجربتنا في فن النحت المعاصر او الحديث قصيرة جدا ولا تتجاوز السبعون عاما. وهذا ما يؤكد عليه زمن تجربتنا القصيرة نسبيا، وليس هناك في التاريخ فكر مجرد لان بعض المجتمعات يظنون ان تجريد الافكار والعواطف من بيئتها قد يضمن لفن النحت العراقي المعاصر صفته العالمية والعربية والمحلية على قدم وساق . فالاهتمام بفن النحت هو ذلك الاهتمام بكوامن الروح وفلسفة النفس البشرية وما بها من عواطف الحب او الكراهية ويزوجها بأفكار الصراع التي تحدث بين المادة والروح مثلا متجرداً بعيدا عن البيئة كما يضمن له ذيوعا اعم واشمل وينفذ من الجو الخاص والبيئة الخاصة والتي تضجر المجتمع في البلدان البعيدة عن بلدنا. فهل تتصور نحتاً اغنى من ثمرة العقل المحض ذات الانسياب العاطفي والوجداني البحت، ولا وجود له، ولا لصفته صلة بالظروف الاجتماعية؟ وهل تتصور نحتاً عراقيا يؤكد نتاجه المنطلق من العقل الخالص والوجدان الخالص، ولا يخضع لظروف واحكام الحياة اليومية والبيئة المحلية ؟ وهل يوجد مثل هذه الافكار، ولا مثل هكذا عواطف بالحياة. فكيف اذن تصبح عناصر تكوين فن النحت من فكرة وشكل ذي الابعاد الثلاثة ومادته . وكيف يمكن ان يحس الفنان بمثل هذا التفكير الذي يزعمون بأمكان تجرده عن البيئة ؟ وكيفية امكانه لخضوع المنطق المجرد وحده. أليس هو علم ؟ ومع ذلك فأن هذا العلم خلافا بما يزعمون ؟ او ليس هو وثيق الصلة بالحياة ؟ عندما يتصدى لعالم يحل مشكلته لكونه لا يكون ابدا في عزلة عن الحياة ؟ اذن ما معنى البحث في فن النحت الذي يقع بين المثالية، والجمالية، والحرية والرابطة بينهما الايديولوجية، وان التشابه بين نظرية علمية ونظرية فلسفية تفاؤلية مع تيار فني اخر. لانها برزت جميعها في العراق بلاد وادي الرافدين لانه واحد ذات بيئة واحدة تكون هذا التشابه في اكبر دليل نقي على وحدته في الاصل قديما وحديثا ومعاصرا. لان هذا التفكير انبثق من الارض الطيبة وصدقها المعطاء وجذوره الخيرية الضاربة بالتربة والبيئة الاجتماعية والثقافية ، وكيف لا يحلق بجناحيه في السماء. ففن النحت في العراق جذر ؟ وفي بيئة عراقية اصل ؟ وعربية فرع ؟ يكاد يحكمه تصرف الانسان بشهواته ورغباته البدائية حتى تأصلت سيطرته بملايين السنين.

الفصل الرابع

نتائج البحث

من خلال المناقشة واعداد الموضوع في قضايا الفلسفة التفاؤلية التعادلية للفن وطرز البحث في مجال فن النحت وفق نظرية المثالية – الجمالية – الحرية. اذا ما تأملنا في دلالة معناها الطبيعية. لتوصلنا إلى عالمين ظاهر وباطن ذات الصلة التامة بينهما وبالمتلقي والفنان ويتم الحوار المتواصل من اجل تحليل كل من المثالية = الجمالية = الحرية = الإيديولوجية = الأخلاق والفضيلة، وكذلك في تحديد معناهما ومغزاهما ضمن عملية وفعل التطبيق لهما وسؤالنا ؟ ماهو المقصود بالمثالية ؟ وما هو المقصود بالجمالية ؟ وما هو المقصود بالحرية ؟ وهل لهما نظريات ؟ وهل حققنا فيهما قيماً علمية وعملية في التعليم ؟ وهل تم بحث تحقيق اغراضهما ومبادئهما ؟ وبماذا نوصي المسؤولين للاخذ به لضمان تحقيق الاهداف والحدود لهما ؟ والقصد من هذا هو الالمام بأحداث الحركات الانسانية الكبرى، وما حصل للجنس الانساني في الزمان الماضي. للوقوف على اسس القيم في الحياة الانسانية الروحية لمعرفة الافكار والمشاعر المتعلقة بالامور الجوهرية التي تهم الانسان من حيث هو انسان . فالمثالية والجمالية والحرية لهما ايديولوجية واحدة، وطريقهما واحد ومتلازم بين الاهداف والحدود بالاخلاق والفضيلة، وهذا ما نعني به رعاية النشيء من الشباب منذ حداثة سنهم لغرض تذوق كل منهما، والعيش في كنفهما، وخلق ظروف استخدامهما كأداة ايجابية لسائر افراد المجتمعات وبمختلف اجناسها ليشبوا في الفة لا تنقطع عن قيمهم عند ممارستهما في كل مرافق الحياة . اما من ناحية النظريات. فالمثالية نظرياتها، وللجمالية نظرياتها، وللحرية نظرياتها، ولكنهما يشتركان في نهاية المطاف ببودقة واحدة تنصهر فيها جمعاء لخلق ايديولوجية واحدة ذات حركة تعانقية بالالفاظ وبالمعنى وبالعمل لكونهما يشتركان في التسامي والتناسق والانسجام والتعانق وهما تؤمان سياميان للاخلاق والفضيلة . بالعمل الصالح ويحملان الكشف الاتي:-

- المثالية تعمل لاكتشاف القواعد والقوانين والانظمة.
- الجمالية تعمل لاكتشاف القواعد والقوانين والانظمة.
- الحرية تعمل لاكتشاف القواعد والقوانين والانظمة.

وهذا ما يدلل على ان هذه الانماط الثلاثية المتواليتان ثانية في الظواهر الروحية وهما نوع واحد، ويعبران عن الاحوال الانسانية الواقعية بالزمان والمكان. لان هدفهما واحد هو تقرير الواقع لا بل التنبؤ بما ستكون عليه احوال الانسان من معلومة او مجهولة، وكذلك السعي لمعرفة هذه الوقائع او الاحداث سواءاً كانت جزئية او كلية. لانهما لا يعملان الا في نوع واحد وهما :-

اولاً – دراسة الوقائع المادية التي تعرف بالحواس(احوال مادية وافعال بني الانسان).

ثانياً – دراسة الوقائع الخاصة بطبيعة الانسان النفسية وتشمل(عواطف. افكار. دوافع).

الاستنتاج

ان فن النحت العراقي المعاصر. ومن خلال هذا الاستنتاج يتخطى ازمات الفنون الواقعة ضمن المثالية. الجمالية. الحرية. وما تعانيه الفنون الاخرى من فن اللامعقول والتي تدل على انهيار القيم الروحي. والامال الانسانية التي ينبغي لها ان يفقدها الفن بين الذي ينشؤون انواعه، وبين الذي يستمتعون بها، ويرغبون في التجديد الذي يقع ضمن تفكيرهم في فلسفة الفن وطبيعته ووظيفته التي تمتاز بالاصالة للماضي بأفرازات الحاضر والمتمثلة بما يلي :-

١- المثالية / هي اداة رئيسية في التحليل الباطني والذي يكتمل بواسطة جمع كل المعلومات الخارجية.

٢- المثالية / هي عملية اثبات قوة العقل والعمل وهي رسالة انسانية في كافة موضوعاتها الواقعة ضمن نسق الحياة.

٣- الجمالية / هي عملية استخراج كل الدلائل التي تعبر في تقديم فن النحت والتعرف على العصر او العملية التي يتم بواسطتها التعرف عليها في المثالية.

٤- الجمالية / هي شهادة حب وتقدير وورقة رسمية صادقة عفوية تحتوي على الصيغ الجديدة للمجتمع.

٥- الحرية / هي عملية وحجة دامغة للاعمال الانسانية التي لا اساس لها اخلاقياً ولا فضيلة على الاطلاق.

٦- الحرية / هي عملية مقاومة للمفردة وللمنهج الاجتماعي بين مختلف العناصر الانسانية والعناصر المتناظرة لها.

ووفقا لفن النحت وفلسفته التفاؤلية بين المثالية - الجمالية - الحرية - ونظرية التوازن ونشوء كامن بينهما للاختلافات او أي انشقاق كامن للوحدة الفنية او أي تداخل متبادل بين الاضداد ، والتعارض الذي يفصل بين وحداتهما والعناصر المتقاربة لكل منها فهو مستقل، ودخيل عميق خارجي عن الاخر بحيث يبدو التناقض بينهما عرضياً . من خلال تتبع العناصر الرابطة بين المثالية والجمالية والحرية. وافراز المتناقضات الباطنية باعتبارها القوة المحركة للتطور تستبدل بالمتناقضات الخارجية والصراع بين نسق ما وبيئة ما. وتحل محله الحركة الذاتية حركة يسببها دافع من الخارج. وترد العلاقات الداخلية في نسق إلى مستوى العلاقات المشتقة من غيرها المعتمدة على العلاقات الخارجية والافرازات الباطنية للاشياء المحدودة تحديدا كيفيا ينظر اليها على انها دالة للعلاقات الخارجية بين الاشياء لا على انها القوة الحركية الرابطة لهما للتطور. ومن خلال النظر إلى نظرية التوازن بين المثالية - الجمالية - الحرية، ولكثرة اشكالها بالحركة إلى اصطدام ألي بين اجسام وتصور التوازن الانساني بينهما . لان نظرية التوازن للمثالية والجمالية والحرية وايديولوجيتها التي تنعكس على العلاقة بينهما وبين الحركة والسلوك الانساني. لان التوازن متحرك نسبي والحركة هي شكل من اشكال السكون . فالمثالية والجمالية والحرية وايديولوجيتهما والواقعات ضمن نظرية التوازن هي نظرية التغيير الكلي المجرد لهما.

المصادر

١- المنجد في اللغة : الطبعة الجديدة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : ١٩٦٦ ، ص ٧٤٧

٢- المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٦٢٤ .

٤- المصدر نفسه ، ٢٢

٥- برث ، سرل ، كيف يعمل العقل ، تعريب ، د. رياض عسكر ، القاهرة ، ص١٢.

٦- Rusk : the philosophical bases of education ، p.٢٩.

٧- الدكتورس . برنهارت ، كارل ، علم النفس في الحياة العملية ، تر : د.ابراهيم عبد الله محي ، ط٣ ، بغداد : ١٩٦٧، ص١٣٥ .

٨- الدكتور ، راجح ، احمد عزت ، اصول علم النفس ، القاهرة : ص٤٨٥

٩- Jung. C.G. two essays on analytical psychology. New your.١٩٣٣.p.١٨٨

١٠- Bernol، the social function of science.p.٤.

١١- البسيوني ، محمود ، اراء في الفن الحديث ، القاهرة ، دار المعارف :١٩٦١، ص١٠٣

١٢- Henben t ، Read ، education through art ، London ، faban & faban ,١٩k٣، p.p٧٠-٧١.

١٣- Geor c. Kyto: how to supervise.p.٣٦١

١٤- Ibid , p . ٦٧.

١٥- برت ، سرل ، كيف يعمل العقل ، ص٤٩.

١٦- صبيتان ، محمد بن ، دراسة التحولات والاخفاقات في المجتمعات العربية ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت :٢٠٠٤، ص١٧٠.

١٧- Mann ، Tomas ، Essays ، New Yourk:١٩٥٧.p.٣١٧

١٨- فضل . د . صلاح . نظرية البنائية في النقد الادبي . ط٢ ، الانجلو المعربة ، القاهرة :١٩٨٠، ص٥٠

١٩- Hull ، history and philosophy of scicnce.p.k.

٢٠- Esearpit. Robert، sociolosia de la literatuna. Tnad. Argenlina ،١٩٦٢.

٢١- القباني، اسماعيل، سيادة التعليم في مصر، لجنة التأليف والتجميع للنشر، القاهرة:١٩٤٤، ص٦٥.

٢٢- المصدر نفسه، ص٦٥

٢٣- George conrod, the process of art education in the elementary school, nj, Prentice-hall ine: Englewood cliffs, ١٩٦٤.p.١٣.

ملحق رقم (١)

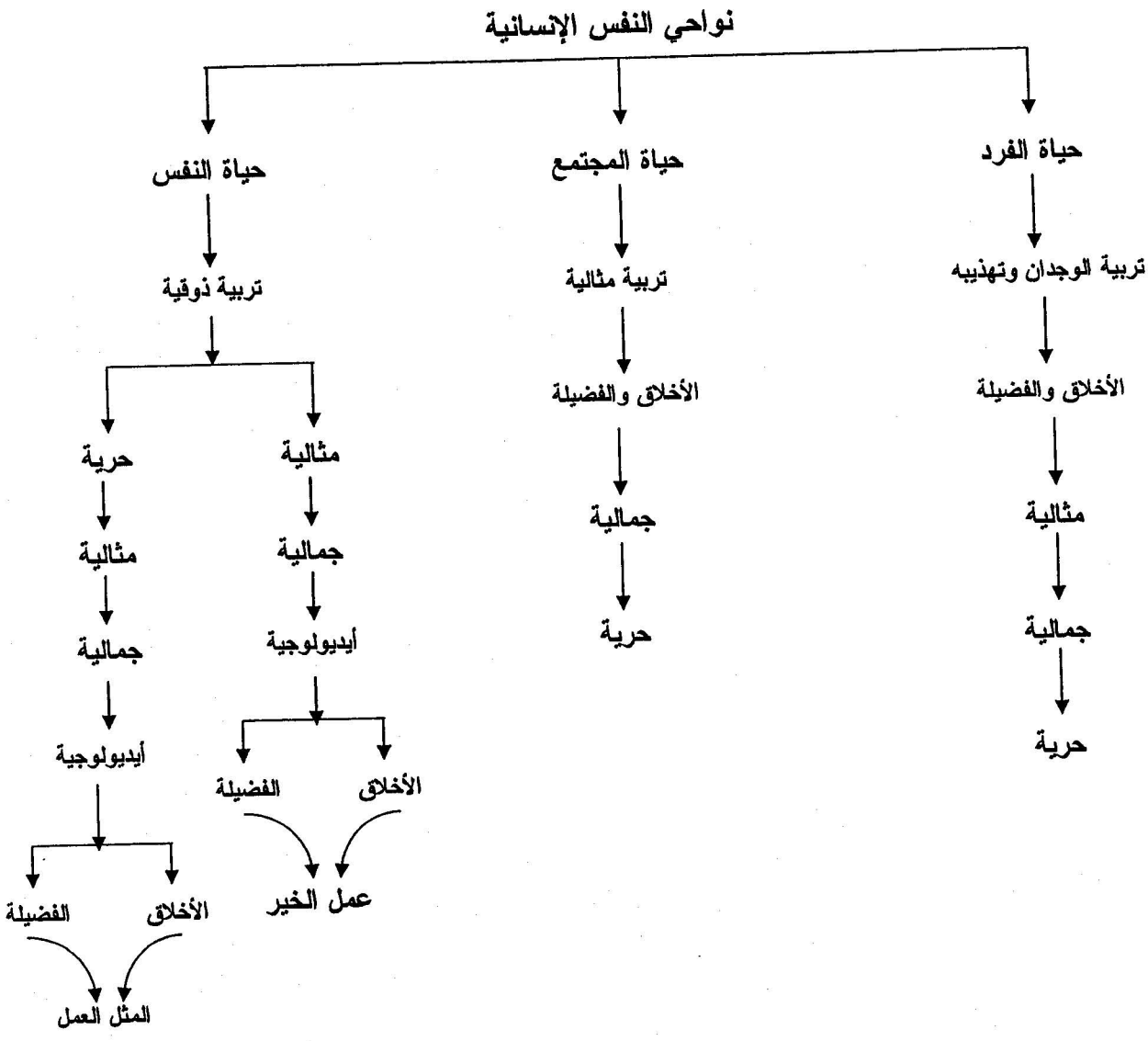
نواحي النفس الإنسانية
حياة الفرد
تربية الوجدان وتهذيبه
الأخلاق والفضيلة
مثالية
جمالية
حرية
حياة المجتمع
تربية مثالية
الأخلاق والفضيلة
جمالية
حرية
حياة النفس
تربية ذوقية
مثالية
جمالية
أيديولوجية
الأخلاق
الفضيلة
عمل الخير
حرية
مثالية
جمالية
أيديولوجية
الأخلاق
الفضيلة
المثل العمل

ملحق رقم (٢)

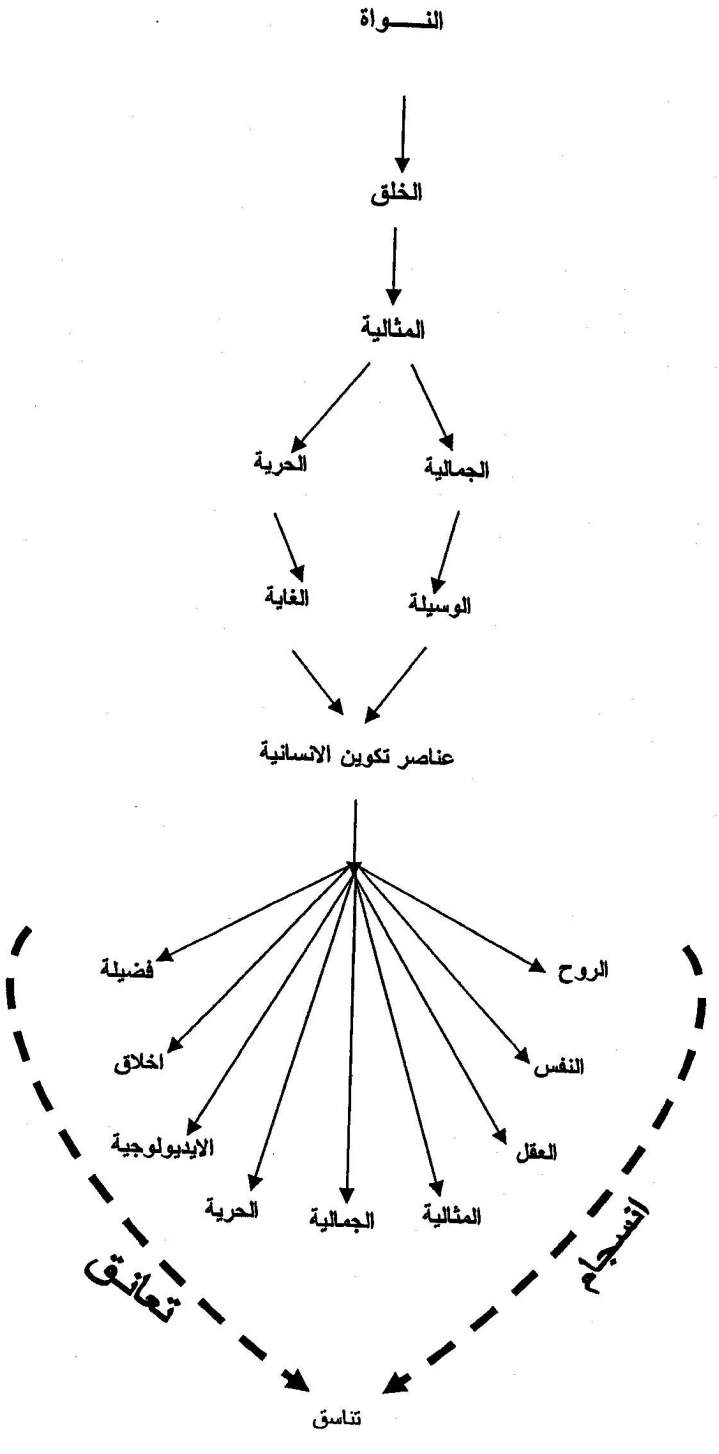
النـــواة
الخلق
المثالية
الحرية
الجمالية
الغاية
الوسيلة
عناصر تكوين الانسانية
فضيلة
اخلاق
الايديولوجية
الحرية
الجمالية
المثالية
الروح
النفس
العقل
تعانق
انسجام
تناسق

ملحق رقم (٣)

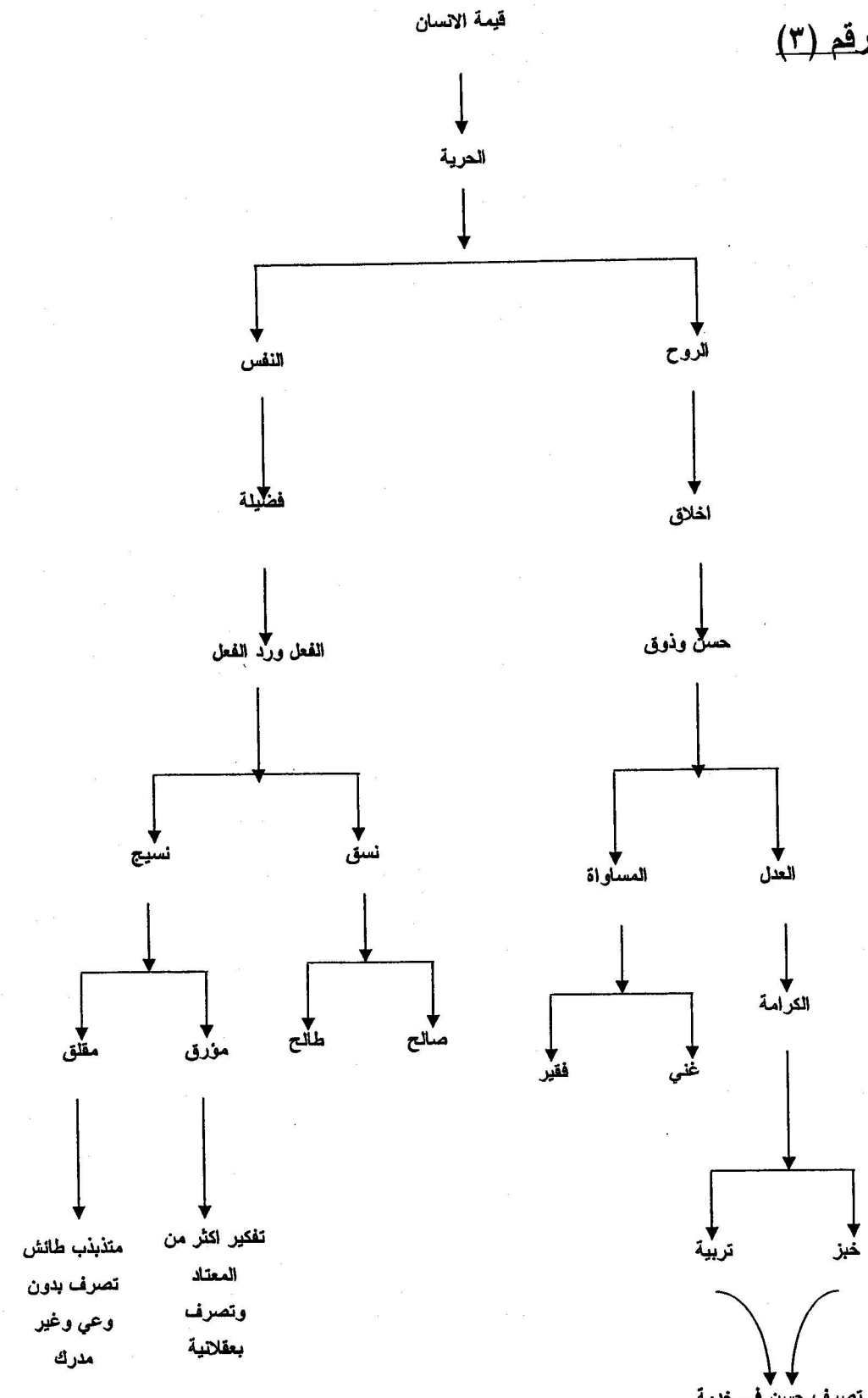
قيمة الانسان
الحرية
الروح
النفس
اخلاق
فضيلة
حسن وذوق
الفعل ورد الفعل
العدل
المساواة
نسق
نسيج
الكرامة
غني
فقير
صالح
طالح
مؤرق
مقلق
خبز
تربية
تفكير اكثر من المعتاد وتصرف بعقلانية
متذبذب طائش تصرف بدون وعي وغير مدرك
تصرف حسن في خدمة المجتمع والوطن

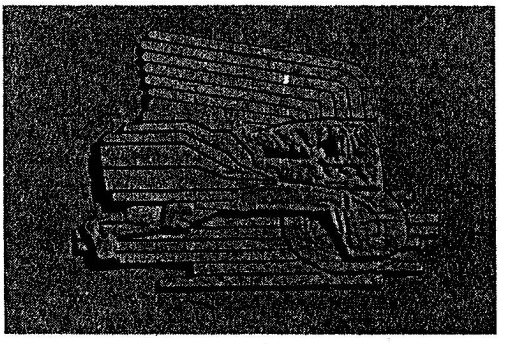

شعار (مصلحة نقل الركاب)

جواد سليم

(شكل رقم ١)

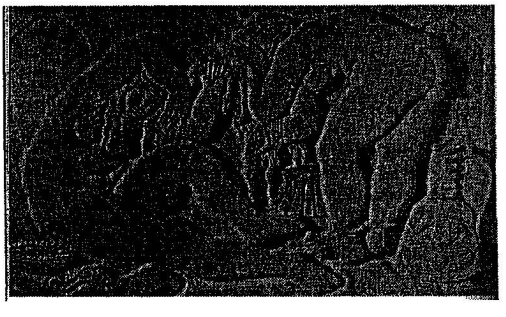

(المستحمات)

خالد الرحال

(شكل رقم ٢)

(شهرزاد)
محمد غني حكمت
(شكل رقم ٣)

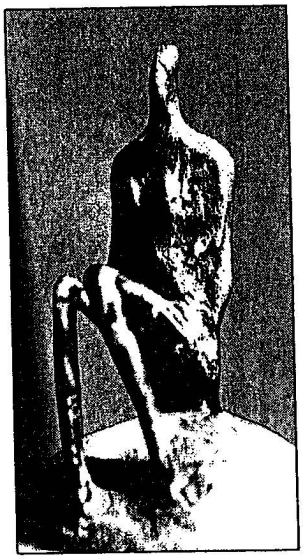

(رجل جالس)
إسماعيل فتاح الترك
(شكل رقم ٤)

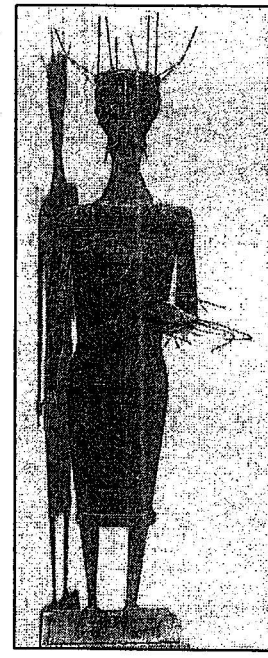

(بلقيس والهدهد)
صالح القره غولي
(شكل رقم ٥)

(المرأة والرجل)
ميران السعدي
(شكل رقم ٦)

(النبي موسى)
مايكل انجلو
(شكل رقم ٧)

(لاووكون)
اجيزاندرو
(شكل رقم ٨)

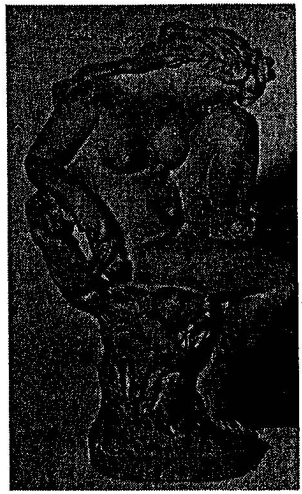

كاربو

(شكل رقم ٩)

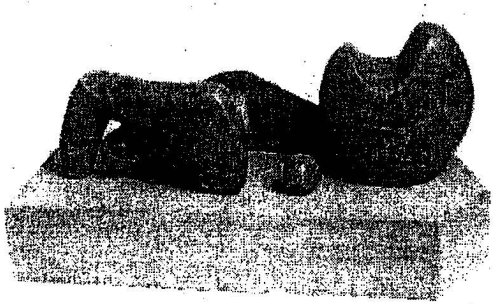

(قوم مستلقي)

رودان

(شكل رقم ١٠)